

الدفاع النفسي بالإسقاط عند المستشرقين تكرار القصص القرآني نموذجاً

د. عبدالرحيم خيرالله عمر الشريف*

(*) أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم - جامعة الزرقاء - كلية الشريعة - المملكة الأردنية الهاشمية.



ملخص البحث

اعتنى المستشرقون بدراسة كثير من قضايا القرآن الكريم ومن ضمنها القصص القرآني، ولما كان القصص القرآني معجزاً فريداً لم يُسبق في الأسلوب والمضمون، فقد تعامل معه بعض المستشرقين بآليات الدفاع النفسي غير العلمي الموضوعي - ومن أبرزها: الإسقاط -.

وقد احتوى البحث على ثلاثة مباحث:

وضّح الأول: مفهوم الإسقاط وبيّن غايته، وتحدث الثاني: عن الفرق بين القصص القرآني وقصص الكتب المقدسة عند مثيري تلك الشبهة من المستشرقين، وناقش الثالث: دعوى تكرار القصص القرآني بلا مسوغ، وبيّن وجه الإسقاط فيها.

الكلمات الدالة: الإسقاط، التكرار، القصص القرآني، الاستشراق.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا بحث يتصل بنقد مناهج مستشرقين تناولوا بالنقد كثيراً من قضايا قصص القرآن الكريم، ومنها قضية تكرار القصص القرآني، وتبعهم بعض المغترين بهم فيما ذهبوا إليه، وفي هذا البحث بيان للضعف المنهجي عندهم، وإثبات أنهم كانوا ينطلقون في أحكامهم من مقدمات مغلوبة أملت دفاعاتهم النفسية بالإسقاط؛ فما انتقده كثير من المستشرقين بخصوص تكرار القصص القرآني فله مسوغاته وأغراضه البيانية، بل إنه موجود وغير مُبرر في الكتاب المقدس الذي يؤمنون به، ذلك الكتاب المكوّن من العهدين: العهد القديم والعهد الجديد، اللذين تم تحريفهما عن التوراة والإنجيل، وسيُطلق عليه الباحث مصطلح: (العهدين المحرفين).

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان مفهوم الإسقاط.
٢. عرض أبرز خصائص القصص القرآني.
٣. الموازنة بين أسلوب القصص القرآني وقصص العهدين المحرفين.
٤. إثبات أن لتكرار القصص القرآني أغراضاً بيانية وتشريعية بخلاف قصص العهدين المحرفين.
٥. تسليط الضوء على الإسقاطات النفسية عند المستشرقين فيما يتصل بتكرار القصص القرآني.

مشكلة البحث:

سيجيب هذا البحث عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بالإسقاط؟
٢. ما الفرق بين تكرار القصص القرآني وتكرار قصص العهدين المحرفين؟
٣. هل مارس المستشرقون الدفاع النفسي بالإسقاط عند دراستهم لقضية تكرار القصص القرآني؟

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسات سابقة تناولت عرض ونقد قضية التكرار في القصص القرآني التي انتقدها المستشرقون من منطلق إسقاطي.

وأقرب ما وجد الباحث إلى هذا البحث: ما سطره الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه: «الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين»، الذي نشرته دار الفكر، دمشق (١٩٩٥م)، ووقع الكتاب في (٢٤٠) صفحة ذكر فيها (١٦) إسقاطاً، في مختلف الموضوعات الفكرية التي أثار المستشرقون شبهات حولها وبخاصة ما يتعلق بمصدر القرآن الكريم ودعاوى التناقض والخطأ، وقضايا المرأة والرق والإرهاب.

ومثله بحث: «منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين دراسة تحليلية منهجية»، الذي أعده د. محمد عامر عبد الحميد مظاهري، وقدمه لندوة: (القرآن في الدراسات الاستشراقية) التي عُقدت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية (١٦ شوال ١٤٢٧هـ) ويقع في (٥٤) صفحة، تناول فيه إسقاط المفاهيم الاستشراقية على التعريف بالقرآن الكريم، وعلى تاريخ القرآن الكريم، وعلى العقائد القرآنية، وعلى الشرائع القرآنية.

ولم تتناول أي من الدراستين السابقتين ما يتصل بالإسقاط لدى المستشرقين فيما يختص بتكرار القصص القرآني، بخلاف هذا البحث.

وهناك من العلماء من درس قضايا التكرار في القصص القرآني كالدكتور فضل حسن عباس في كتابه «القصص القرآني إحياءه ونفحاته» والكتاب مخصص بالكامل لمناقشة ذلك، وأشار إلى ذلك أيضاً الدكتور عبدالغني الراجحي في كتابه «آدم - عليه السلام - كما تحدث القرآن الكريم». ولكن بدون أن تشير تلك الكتب إلى الناحية الإسقاطية في تناول المستشرقين لقضية تكرار القصص القرآني.

محددات البحث:

سيتناول البحث عرضاً ونقداً لأبرز الشبهات التي ادعاها بعض المستشرقين حول تكرار القصص القرآني من منطلق إسقاطي.

لذا فلن يتناول الشبهات التي أثاروها حول مصدر القصص القرآني؛ لكون الدراسات السابقة – التي سبق بيانها – قد بحثت فيها من جهة عرض ونقد إسقاطات المستشرقين لمصدر القرآن الكريم بشكل عام، ولن تتناول بالعرض والنقد شبهات أخرى مثارة حول القصص القرآني كتلك التي تتعلق بدعاوى الاقتباس عن قصص العهدين المحرفين، ووجود الأساطير والتناقض ومخالفة التاريخ.

منهج البحث في هذا البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي لتعريف الإسقاط، ثم المنهج الاستقرائي: لتتبع شبهات أبرز المستشرقين حول تكرار القصص القرآني، ثم المنهج النقدي: لتحليل الأغلوطنات الواردة وبيان خطئها بالأدلة العلمية الصحيحة، ثم بيان وجه الإسقاط فيها، بحسب التفصيل الآتي.

المبحث الأول

تعريف الإسقاط وبيان غايته

تتنوع مشارب الناس وأفكارهم وعاداتهم وثقافتهم؛ ليتعارفوا، وغرس الله سبحانه وتعالى عند الإنسان غريزة السعي نحو استقطاب غيره من الناس إلى ميوله وأفكاره، فيحاورهم وينظرهم؛ ليجلبهم إلى فكره ورأيه، وهذا السعي قد يُسبب مصادمات مع غيره من المخالفين له في القناعات والثقافات من المحيطين به، فيبدأ كل طرف من الأطراف في عرض مواطن قوة رأيه وضعف رأي خصمه، في تدافع فكري دائم لا ينتهي ما دام الناس على وجه الأرض.

وغالباً ما يستخدم طرفا الحوار الهجوم والدفاع من أجل إظهار الغلبة والانتصار في الرأي، وحين يضعف رأي أحد طرفي الحوار فإنه قد يُصاب بالتوتر؛ فيلجأ لاستخدام وسائل دفاعية يحاول من خلالها التشويش على موضوع المناظرة والحوار، وإخفاء توتره الناتج عن ضعف حجته.

تتنوع تلك الوسائل الدفاعية النفسية وتأخذ أشكالاً، منها: التبرير بذكر أعذار أكثرها غير علمي، والاستعلاء والتسامي برفع الصوت، والتذلل والاستكانة بالبكاء وإظهار الحزن، والانسحاب باستغلال شيء ما لعدم إكمال الحوار، والقمع بإرهاب الطرف الآخر حتى لا يكمل الحوار.

الإسقاط:

ويُقصد بالإسقاط: حيلة نفسية دفاعية يلجأ إليها أحد طرفي الحوار؛ لتخفيف التوتر داخله^(١)، بسبب إخفاقات أو صفات ورغبات سلبية موجودة فيه^(٢)، فيعزوها - رغم أنها موجودة فيه - إلى غيره^(٣).

يحتوي الإنسان على مشاعر ومقاصد وأفكار تنبع من ثقافته وأهوائه، وهناك أشخاص يُقررون بخطأ بعضها - ولو داخلياً في أنفسهم - ولكنهم لا يعترفون بتحليلهم

(١) انظر: مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي، د. عبدالله الطراونة، ص (٢٠٠).

(٢) انظر: نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، عبدالله أبو زعيزع، ص (٣٩).

(٣) انظر: أساسيات الإرشاد النفسي والتربوي، عبدالله أبو زعيزع، ص (٤٠).

بها، ولا يسعون لتصويب فكرهم وسلوكهم تكبراً وغروراً وعناداً، بل يُسقطونها على البيئة الخارجية^(١)؛ لذا فإنك تجد شخصاً يُسقط بعض صفاته القبيحة على الآخرين، كالبخيل الذي يقول عن شخص آخر بأنه هو البخيل^(٢).

وقد ظهر مصطلح (الإسقاط) في مقال نشره (فرويد) عام (١٨٩٤م) تحدث فيه عن عصاب القلق، حيث كان أول مَنْ عدَّ الإسقاط حيلةً دفاعيةً، وتبعه في ذلك علماء النفس من بعده^(٣)، ثم توسَّع (فرويد) في شرح تلك الحيلة الدفاعية في مقال نشره عام (١٨٩٦م) فجعله عملية دفاعية تتخلص بها (الأنا) من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها، التي إن بقيت سبَّبت ألماً نفسياً^(٤).

بهذا يتبين بأن الإسقاط آلية دفاعية يسلكها شخص يحاول من خلالها إلصاق ما بداخله من إخفاق وخطأ سلوكي أو فكري على الغير.
فالإسقاط يقوم على ركنين أساسيين:

الأول: شعور إنسان بالإحباط؛ لشعوره بعجز ونقص.
والثاني: محاولته إلصاق أي من هذه النواقص بغيره إفكاً وعدواناً.
إنه بسلوك هذه الآلية الدفاعية يحاول إعادة اتزانه النفسي بعد أن تسبب توتره وشعور المؤلم نفسياً بالنقص في هدم جزء كبير من اتزانه النفسي، فإذا استطاع أن يجد ما يسقطه على غيره يقلُّ اضطرابه، ويحصل على راحته التي من خلالها يسير نحو الاتزان النفسي.

بذا يتبين أن الغاية الرئيسة للإسقاط: صرف المسقط نظر الآخرين عن عيب يعاني منه في نفسه، ويكره أن يُعيره به الآخرون؛ فيلجأ من أجل صرف النظر عنه إلى آلية الإسقاط^(٥).

ولكنه لا يدري بأنه باستمرار استخدام تلك الآلية يزيد من اضطرابه وإخفاقه، ولا

(١) انظر: نظريات الشخصية، د. جابر عبد الحميد، ص (٣٧).

(٢) انظر: المختصر في الشخصية والبناء النفسي، د. نبيل سفيان، ص (٢٢٩).

(٣) انظر: موسوعة الخدمة الاجتماعية، صالح الصقور، ص (٢١٨).

(٤) انظر: سيكولوجيا الشخصية، د. سيد غنيم، ص (٥٦٥).

(٥) انظر: منهج الإسقاط عند المستشرقين، د. محمد مظاهري، ص (٩).

يكسب إلا مخالفة ومعاداة كثير من الناس الذين يسعى لجذبهم للإيمان بما يؤمن به من أفكار؛ لأن في الإسقاط ظلماً وتحقيراً لغيره وتقليلاً من شأنهم، مما يزيد من نفور عامة الناس منه، ويُقلل من القيمة العلمية لما يحمل من أفكار. يحسب أنه بالإسقاط سيدافع عن نفسه عن طريق إلصاق عيوبه ونقائصه الفكرية والاعتقادية المستقبحة بالآخرين، وكأنه يلومهم على ضعفٍ هو واقع فيه!

وإذا ما قارنا الإسقاط بالتبرير، فكل منها حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد، فإننا نجد أن الإسقاط دفاع ضد الآخرين في الخارج، بينما التبرير كذب على النفس.

المشكلة في الإسقاط أنه يعطي راحة نفسية لمرتكبه بأن يفعل الأفعال الشائنة بدون تأنيب ضمير؛ فإذا عاتبه أحد على سلوك مغلوط يمارسه أو فكرة خاطئة يعتقدها سيدافع عن نفسه بدعوى أن كثيراً من الناس يفعلون مثله. مثل رجل شرطة أبيض البشرة يمارس العنف العنصري مع المتهمين السود أكثر من البيض؛ بدعوى أن زملاءه يفعلون ذلك^(١).

يكثر الإسقاط في الذين ضعفت معنوياتهم، وزادت إحباطاتهم، وتيقنوا من سخافة حججهم. وقد ذكر القرآن الكريم مثلاً واضحاً مباشراً على الإسقاط بصفته حيلة دفاعية للضعفاء، حين ذكر ما افترت به امرأة العزيز على سيدنا يوسف - عليه السلام -، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتْ الْأُبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝٢٣ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝٢٤ وَأَسْبَقَ الْأَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥﴾ (يوسف: ٢٣-٢٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن ظهور كذب الإسقاطات المفتراة وافتصاح كذب المسقط سنة من سنن الله في كونه المنتظم بموازن عدل ثابتة، فالإنسان يستطيع خداع

(١) الاتجاهات التعصبية، د. معتز سيد عبدالله، ص (١١٤).

بعض الناس بعض الوقت، ولكنه لا يستطيع خداع كل الناس كل الوقت؛ إنها سنة الله الكونية في ظهور كذب المسقط ولو بعد حين: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥١-٥٢)، وهكذا فإن الإسقاط ما هو إلا كيدٌ خائنين لا يستمر طول الوقت.

من هنا كان التحذير الإلهي الشديد من الإسقاط المتعمد: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١١٢)؛ فإثم المسقط إثم مبينٌ «لمعرفته بخيانة نفسه وبراءة المرمى به؛ ولأن الله سبحانه وتعالى أجرى عادته الجميلة أن يظهر براءة المقذوف به يوماً ما بطريق من الطرق ولو لبعض الناس»^(١).

وتأمل إسقاط الملائ من قريش عند اتهامهم لنبي سيدنا محمد ﷺ في تحمّل أعباء الدعوة: ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (ص: ٦) حيث تركوا نقد موضوع الرسالة وانشغلوا باتهام صاحب الرسالة، فاتهموا النبي الكريم ﷺ بأن: «له قصداً ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تخفى إلا على السفهاء؛ فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يُرد قوله بالقدح في نيته؛ فنيته وعمله له. وإنما يُرد بمقابلته بما يُبطله ويُفسده من الحجج والبراهين. وهم قصدهم: إن محمداً ﷺ ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون معظماً عندكم متبوعاً»^(٢)، إنهم يظنون الدعوة إلى الخير مثلهم، لا يحملون أعباء الدعوة إلا لهدف مادي دنيوي. كما جاء في السنة تحذيراً من هذا الصنيع، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ». قال أبو إسحاق (أحد رواة هذا الحديث): «لا أدري (أهلَكُهُمْ) بالنصب، أو (أَهْلَكُهُمْ) بالرفع؟»^(٣).

سيكون أهلَكُهُمْ إذا قال ذلك عُجباً بنفسه، وتصاغراً للناس^(٤)؛ إنه أهلَكُهُمْ وأَسوأَهُمْ

(١) نظم الدرر، البقاعي، (٣٩٨/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص(٧٠٩).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة، باب النهي عن قول: «هلك الناس»، برقم (٢٦٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: شرح السنة، البغوي (١٤٤/١٣).

حالاً؛ مما يلحقه من الإثم في عيبيهم، والإضرار بهم، والوقية فيهم، وربما أداه ذلك إلى العُجب فيرى أن له فضلاً عليهم^(١).

وقد عدَّ العلماء كثرة مخالطة الأشرار سبباً في إسقاط الظن السيء بالأخيار، قال المناوي: «مَنْ أساء الظن بمن ليس محلاً لسوء الظن به، دل على عدم استقامته في نفسه!»^(٢).

ومن الحكم الشهيرة في هذا الباب، قول المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

قال الواحدي في شرحه للبيت: «المسيء الظن لا يأمن من أساء إليه، وما يخطر بقلبه من التوهم على أصاغره يصدق ذلك. وهذا كما قال بعضهم:

وما فسدت لي - يشهد الله - نية عليك بل استفسدتني فاتهمتني»^(٣).

وانطلاقاً من كل ما سبق فإن الباحث يقصد بإسقاطات المستشرقين فيما يختص بالقرآن الكريم: إنكار مستشرقين لفكرة موجودة في كتبهم المقدسة (العهدين المحرفين)، وإلصاقها - إفكاً وعدواناً - بالقرآن الكريم.

ويرى الدكتور شوقي أبو خليل أن إسقاطات بعض المستشرقين مقصودة مُبَيَّنَةٌ^(٤)، فما يروّجونه من كذب وافتراء عن الإسلام بعامة والقرآن الكريم بخاصة، ما هو إلا نوع من «الإسقاط المدرّس، الإسقاط الواعي، الذي يكذب وهو يعلم أنه يكذب، لا يخطئون فقط في كل جملة يقولونها، بل يكذبون»^(٥).

وعلّل سبب ذلك الإسقاط المتعمد بأنه صدر «خبثاً وحقدًا، صليبيّةً ومكرًا؛ لنقفَ موقفَ المتهم المدافع عن نفسه، الذي يسعى بكل ملكاته وإمكاناته لدفع ما وُجه إليه؛ خشية الإدانة.. وإسقاطهم هذا - مع منطلقاتهم الكاذبة الخادعة - من أسبابه وأهم

(١) انظر: معالم السنن، الخطابي (٤ / ١٣٢).

(٢) فيض القدير، المناوي (١ / ٤٢٤).

(٣) شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ص (٣٢٣).

(٤) من أبرزهم: جولد تسيهر وزويمر وفيليب حتى وبروكلمان وجوستاف لوبون وكرونه، انظر: الإسقاط، د. شوقي أبو خليل، ص ١٩-٢٠.

(٥) الإسقاط، د. شوقي أبو خليل، ص (١٥).

عوامله، شعورهم بالنقص؛ بسبب عقلانية الإسلام وعلميَّته، وخرافات عقيدتهم وأسرارها ورموزها المتناقضة، ولا عجب أن يقفوا في حيرة وهم في غاية الاندهاش والإحباط، وهم يرون مقاعد كنائسهم خاوية، مع إلحاد رعاياهم بهم وبعقيدتهم»^(١). لكن الباحث يرى أنه رأي محتمل لا ينبغي تعميمه على كل المستشرقين، ومن ثم عدّه منهجاً لهم؛ فإن محاكمة النوايا لا تقدّم ولا تؤخر في البحث العلمي؛ فإسقاطات المستشرقين موجودة، واكتشافها سهل ميسور، وليس من مهمة الباحث تحديد نية المسقط وغرضه: هل تلك الإسقاطات عن عمدٍ وقصد، أم بسبب تلقائي دفعت إليه حيلة دفاعية لمهزوم فكرياً؟ إن الجزم بسوء نية المستشرق المسقط لا يؤثر في نتيجة البحث وثمرته؛ فالثمرة واحدة وهي إثبات حدوث الإسقاط، بغض النظر عن نوع الإسقاط: سواء أكان متعمداً مقصوداً، أم مجرد دفاع نفسي ناتج عن ضعف الحجة والدليل.

المبحث الثاني

الفرق بين القصص القرآني وقصص العهدين المحرفين

يتميز القصص القرآني بالإحكام فلا تجد فيه ثغرة لا يمكن سدها بلا تكلف، ويتبين ذلك بموازنة أي قصة من القصص القرآني بما ورد في قصص العهدين المحرفين؛ فبالضد تعرف الأشياء.

مثال ذلك: إن بحث الناقد في قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - في العهد القديم، وقارنها بقصته في القرآن الكريم، يتبين له أن قصته - عليه السلام - في القرآن الكريم محكمة، بلا ثغرات ولا تناقضات بعكس قصته في العهد القديم، حيث:

١. تناقض النص في الإصحاح (٣٧) من سفر التكوين، فبعد أن ألقى إخوة يوسف أخاهم في الجب باعوه لقاطلة من الإسماعيليين (عرب الجزيرة) (سفر التكوين ٣٧ / ٢٥)، ولكنه في السفر ذاته جعلهم قد باعوه إلى المديانيين (سكان مدين) (سفر التكوين ٣٧ / ٢٨ و٣٦)، وفي مصر باعه المديانيون إلى فوطيفار رئيس الشرط،

(١) الإسقاط، د. شوقي أبو خليل، ص (١٥-١٦).

وكلا النصين متناقض مع ما ورد في الإصحاح (٤٥ / ٤) من السفر ذاته: « أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر ».

٢. لم يذكر القرآن الكريم لفظ (فرعون) في قصة يوسف - عليه السلام - ، بل أطلق على الحاكم لقب (ملك)^(١)، أما سفر التكوين فتناقض: أطلق عليه: ملك (الإصحاح: ٣٩)، وفرعون (الإصحاح ٤٠).

٣. يقول يوسف في سفر التكوين (٤٠ / ١٥): « قد سُرقت من أرض العبرانيين ». وهذا يناقض ما ورد من إجماع تاريخي وكثرة النصوص التوراتية، التي تذكر أن تلك الأرض لم تكن للعبرانيين في ذلك الوقت، وإنما كان يطلق عليها أرض الكنعانيين أو الفلسطينيين^(٢).

إنَّ عرض القرآن الكريم لقصص السابقين يتميز بأسلوب فريد بديع معجز، ومن الظلم نقد بشر - أي بشر - لكلام الله تعالى، مستخدماً ما يزعم أنها معايير نقدية للقصص متجددة، ناقصة، متغيرة، لا يمكن الاتفاق عليها بين كل النقاد. وضعها مخلوقون مجبولون على النقص والخطأ والهوى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢). نعم، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً مع حقائق الأمور التاريخية والكونية، ولوجدوا بين نصوصه تناقضاً واختلافاً كثيراً بعضها مع بعض، ولوجدوا فيه اختلافاً كثيراً مع الفطرة البشرية، لكنه لما كان من عند الله فقد تجرد من ذلك كله، فليس فيه أي اختلاف مع شيء من ذلك.

(١) انظر: سورة يوسف، الآيات: (٤٣، ٥٠، ٥٤، ٧٢، ٧٦).

(٢) انظر: دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب، د. أسعد محمود حومد، ص (٢١٧-٢٦٨). وانظر مزيداً من أوجه الخلاف بين هذه القصة في القرآن والعهدين في كتاب: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٢/ ٢٧).

لقد تميز القصص القرآني بمميزات جعلته فريداً معجزاً، منها^(١):

أولاً: خلوه من الأساطير:

فالقصاص القرآني يمتاز بأنه واقعي كله ليس فيه أساطير؛ فمن شأن الإيمان واليقين بواقعية الأحداث أن يلفت انتباه القارئ إلى استنباط العبر والدروس والأحكام المستفادة منها، ولا شك بأن أي قصة بشرية من أهدافها العبرة، وأحياناً قد يخلق القاصُّ أحداثاً وتفاصيل متخيلة للقصة لمزيد من التشويق والتسلية، لكن هذا ليس هو الكمال؛ فالأكمل استنباط القارئ العبرة من قصة واقعية، والقرآن لا يأتي إلا بالحسن والكمال، كما قال سبحانه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣)، وما كان لأحسن القصص أن تكون أساطير مكذوبة.

ثانياً: عدم مجيء جميع القصص القرآني على نسق واحد:

تتميز القصة القرآنية بعرض المشاهد منفصلة غير متصلة وغير متسلسلة، وهذا يعني عدم مراعاة التسلسل التاريخي والترتيب الزمني لحوادث القصة، كما شأن كتب التاريخ ومرويات الأساطير، وفي هذا تسجيل لانفراد وإبداع القصص القرآني. وفيه إشارة إعجازية أخرى فقد استمر نزول القرآن الكريم متفرقاً مدة ثلاث وعشرين سنة، ولو كان القرآن الكريم من تأليف سيدنا محمد ﷺ، لكان من اليسير السهل الالتزام بالسرد القصصي التاريخي لتأليف القرآن الكريم وقصصه وعدم تكرارها، حيث إن في تكرارها احتمال الوقوع في الخلل والتناقض كقصص العهدين المحرفين.

ثالثاً: انتقاء الأحداث في القصة القرآنية:

تتميز القصة القرآنية بحسن اختيار الأحداث، وذلك بذكر ما يناسب من أحداثها مع السياق السابق واللاحق لتلك القصة، وبالالتزام بعرض الوجه الأحسن من القصة، فتجد في كل قصة من قصص القرآن الكريم توجيهات تربوية سلوكية قيمة

(١) انظر: الطعن في القرآن الكريم، د. عبد المحسن المطيري، ص (١٥٦-١٦١). وانظر: سيكلوجية القصة في القرآن، للتهامي نقرة، والتصوير الفني في القرآن لسيد قطب.

واضحة يستطيع أي متدبر لها تحديدها، تلك مزية قصص القرآن الكريم بخلاف قصص العهدين المحرفين التي تحوي تفاصيل القصة لا تفيد في استنباط ذلك منها. قارن القصة القرآنية بما ورد في قصة ترميم أسوار القدس بعد خرابها (انظر سفر نحemia ٣ / ١-٣٢): حيث يذكر السفر اسم كل شخص وماذا فعل، ومما ورد فيه: «... (٦) والباب العتيق رمه يوياداع بن فاسيح ومشلام بن بسوديا فسقفاه وأقاما مصراعيه وأقفاله ومغاليقه (٧) وبجانبهما رمم ملطيا الجبعوني ويادون الميرونوتي مع أهل جبعون والمصفاة القسم الممتد إلى مقر والي غربي الفرات». وبهذه التفاصيل غير الضرورية يمضي السفر بأكمله. وكان من الأليق أن يُقال: «قام الكهنة والعمال بترميم الأسوار والأبواب وكرسوها للرب»، لا ضرورة لمعرفة كل تلك التفاصيل؛ فالذي يفيد الناس في العصور التالية هو الإنجاز، لا أسماء المنجزين. ومثله تعداد أسماء العائدين من السبي البابلي، مع ذكر عدد جمالهم وحميرهم، (انظر: نحemia ٧ / ٦-٦٨)، ثم التفصيل الممل في ذكر سكان أورشليم (انظر: نحemia ١١)، وأسماء الكهنة (انظر: نحemia ١٢).

فالناظر إلى قصص العهدين المحرفين سيجد كثيراً من الإطالات التي لا فائدة منها، ومعلومات تاريخية لا قيمة لها، منها ما ورد في سفر صموئيل الأول (١٨ / ٢٥) « فبادرت أبيبجال وأخذت مائتي رغيف خبز وزقي^(١) خمر، وخمسة خرفان مهيئة، وخمس كيلات من الفريك، ومائتي عنقود من الزبيب، ومائتي قرص من التين، ووضعتها على الحمير»، فما الذي أفاد البشرية من معرفة ذلك؟

وفي سفر الملوك الأول إصحاحان كاملان (٦-٧) في وصف الهيكل وطوله وعرضه وسماكته وارتفاعه وعدد نوافذه وأبوابه.. وتفاصيل تزعم التوراة أنها مواصفات يريد بها الرب لمسكنه الأبدي، وفي أخبار الأيام الأول (١-٩) ست عشرة صفحة كلها أنساب لآدم وأحفاده وإبراهيم وذريته، وفي سفر عزرا (٢ / ١-٦٧) قائمة بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم، وأعداد كل عائلة، إضافة لأعداد حميرهم

(١) الزق: وعاء من الجلد الذي يُجَزَّ شعره ولا يُنْتَف، يوضع فيه الشراب عادة. انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون (١/٣٩٦) (زق).

وجمالهم.. الخ. وفيه (٢٣ / ١ - ٢٧ / ٣٤) قوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سبط، وعدد كل جيش، وفيه (٢٤ - ٢٧) يعرض قائمة طويلة لوكلاء الملك داود وولاته... إلخ، فهل وحيّ إلهي يفيد الناس - كل الناس - ينزل بذلك كله؟

بينما التفاصيل الدقيقة في القصص القرآني جاءت لخدمة غرض العبرة من القصة الكريمة، كقوله تعالى ممتناً على فتية الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف: ١٨) جاعلاً تقلبيهم أهم في القصة من أسمائهم، بل أهم من عددهم؛ وذلك لبيان مزيد عناية الله تعالى بعباده المؤمنين، فكان تقلبيهم - لحماية أجسادهم من التلف والمرض فلا تأكل الأرض أجسامهم^(١) - منسوبة إلى الله تعالى، وعبر عنه بنون العظمة ﴿وَنُقَلِّبُهمْ﴾ تشريفاً لهم، وهل هنالك عناية وتكريم أكثر من ذلك لأولياء الله الصالحين؟

إن التفاصيل المملة في القصص دليل بشرية مصدره، فالكتاب الإلهي (المقدس) أعلى وأجل من الغرق في تفاصيل لا تهم سائر الناس.

وتفوقت قصص العهد الجديد على قصص العهد القديم بقضايا تتناول تفاصيل حياة شخصية لها أسبابها التاريخية الآنية في وقتها، ولا علاقة لها بالمؤمنين من بعد. حيث يجد قارئ العهدين المحرفين عشرات المواضع التي تشهد باستخدامها لحمل رسائل شخصية لا علاقة للوحي بها، ومن ذلك ما ورد في رسالة يوحنا الثانية (١٣ / ١): «يسلم عليك أولاد أختك». ويرسل يوحنا المزيد من السلامات لأحبابه في رسالته الثالثة (١٥ / ١) «غاييس الحبيب الذي أحبه بالحق. أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً... سلام لك، يسلم عليك الأحباء، سلم على الأحباء بأسمائهم».

وفي رسائل بولس مثل ذلك، ومنه ما ورد في رسالته الأولى إلى بلدة كورنثوس (١٦ / ١٩ - ٢٠): «تسلم عليكم كنائس آسيا، يسلم عليكم.. أكيلا وبريسكلا.. يسلم عليكم الإخوة أجمعون، سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة».

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣ / ٣٢٥).

ويواصل بولس تسجيل رغباته الشخصية وأخبار أصدقائه، فيقول في رسالته الثانية إلى صديقه تيموثاوس (٤/ ١٣ - ٢١): « الرداء الذي تركته في تراوس عند كابرس أحضره متى جئت، والكتب أيضاً لاسيما الرقوق.. سلم على ريسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس، أراستس بقي في كورنثوس، وأما ترو فيمس فتركته في ميليتس مريضاً. بادراً أن تجيء قبل الشتاء...».

وهكذا تستمر رسائل بولس وسلاماته إلى أصدقائه وأقربائه وتطول، كما في رسالته إلى بلدة رومية (١٦/ ١ - ٢١)، وفيها: « أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا، كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم؛ لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً. سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما. سلموا على أبينتوس حبيبي الذي هو باكورة إخائية للمسيح. سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً. سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي. سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب. سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى أستاخيس حبيبي. سلموا على أبلّس المزكى في المسيح. سلموا على الذين هم من أهل أروستوبولوس. سلموا على هيروديون نسيبي. سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين في الرب. سلموا على تريفينا وتريفوسا التابعتين في الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب. سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمني. سلموا على اسينكريتس فليغون هرماس بتروباس وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم. سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولباس وعلى جميع القديسين الذين معهم. سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة. كنائس المسيح تسلم عليكم...، يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيبارس أنسبائي. أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب. يسلم عليكم غايس مضيقي ومضيف الكنيسة كلها. يسلم عليكم أراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ». ويجدر

التنبية إلى مشاركة الكاتب ترتيوس، الذي لم ينس هو أيضاً أن يسجل تحياته وأشواقه في رسالته، التي لم يحلم أنها ستعدُّ يوماً من الأيام جزءاً من كلمة الله !

ولا ينسى بولس أن يسجل هنا أيضاً بعض تحياته، فيقول في رسالته إلى فيلبي (٤ / ٢١ - ٢٢): « سلموا على كل قديس في المسيح يسوع. يسلم عليكم الإخوة الذين معي، يسلم عليكم جميع القديسين، ولا سيما الذين من بيت قيصر... كتبت إلى أهل فيلبي من رومية على يد ابفرودتس»، وانظر: (فيلبي ٢ / ٢٦ - ٢٨)، و(تيطس ٣ / ١٢). هل في وحي الله تعالى سلامات وتعبير عن أشواق حارة يرسلها فلان إلى فلان وفلان؟!

وتأمل الزيادة الواردة في سفر يشوع (٤ / ٩): « ونصب يشوع اثني عشر حجراً في وسط الأردن تحت موقف أرجل الكهنة حاملي تابوت العهد، وهي هناك إلى هذا اليوم». فالعبارة الأخيرة دليل لوصف واقع كتبه الكاتب البشري، ولا تدل على وحي إلهي أزلي.

وبهذا يتبين الفرق بين القصص القرآني وغيره؛ فالقصص القرآني سيبقى شعلة تنير درب الإنسان، وتصل حاضره بماضيه، وسيبقى نفحة ربانية تشرق بها النفس وتعمر القلب، ووثيقة صادقة خالدة لأحداث التاريخ يطمئن الانسان لمصداقيتها، فيصلاً بين كلام مَنْ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكلام سواه، لا يحتاج تعديلاً من المنقّحين، ولا نسخاً من المصوّبين، بل هو الخبر الصادق الحق المهيمن على ما سواه.

المبحث الثالث

تكرار القصص القرآني

اعتنى عدد من المستشرقين بنقد تكرار القصص القرآني، فعدّ (جرجس سال) التكرار «سماجة»،^(١) وجعله (جاك بيرك) عيباً فقال: «التكرار مغاير للأثر البلاغي»^(٢). تقليداً لـ (نولدكه) الذي رأى في التكرار اضطراباً أسلوبياً في القصة القرآنية، ومثلية لا تليق بكتاب جليل، ولا مسوغ لوجودها فيه^(٣).

ولفت التكرار نظر (بيرسون) فقال في فصل (القرآن) في الموسوعة الإسلامية الفرنسية: «هناك العديد من القصص التي كررت بروايات مختلفة في سورتين أو أكثر، والروايات المتعددة للقصة ذاتها قد تختلف ليس فقط في الطول والتفاصيل، ولكن أيضاً في أهدافها وعلاقتها بالقصص الأخرى»^(٤).

وعلى (بلاشير) التكرار غير المفيد - بزعمه - في القصص القرآني لكونها مجرد قصص رمزية (أساطير)، فقال: «وقد تكون القصة في مكان آخر مجرد ذكر بسيط، ولا تهدف هذه القصة - بصفتها المركزة - إلا إلى الإرشاد»^(٥). أي بما أن القصة القرآنية - بزعمهم - ليست حقيقة تاريخية؛ فلا بأس من تكرار القصص الخيالية لمجرد العبرة والموعظة كتكرار حكايات الأطفال قبل النوم.

وزعم (بلاشير) في موضع آخر بأن القرآن الكريم: من أجل الوصول إلى هدفه، عمدَ على العودة إلى قصص وأساطير معروفة في البيئة العربية، وأنَّ الخطيب الشعبي - كي يقنع مخاطبيه - يلجأ إلى التكرار من أجل تأكيد العبر والدروس المستفادة من القصة^(٦).

ثم ظهر رجع الصدى لتلك الطروحات الاستشراقية في بعض الكتابات التنصيرية،

(١) أسرار عن القرآن، جرجس سال، ص (٧٩).

(٢) Jacques Berques, En relisant le Coran, p. (٧٢٢)

(٣) انظر: تاريخ القرآن، نولدكه، ص (٢٢٧).

(٤) J.D. Pearson, Al-Kur'an, EncycloPedie de L'Islam, Tome V, p. ٤٢٣

(٥) تاريخ الأدب العربي، بلاشير (٢٤٨/١).

(٦) Regis Blachere, Le Coran, p. (٣٨)

ومن أبرزها ما جاء في كتاب (هل القرآن معصوم؟) لتنصيري سمي نفسه (عبدالله الفادي)^(١)، قال: « وفي القرآن الكثير من التكرار اللفظي، كما في سورة الرحمن، أو التكرار المعنوي كما في قصص الأنبياء.

فقصة آدم تكررت في سورة البقرة، وسورة ص، وسورة طه، وسورة الأعراف وقصة نوح تكررت في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة الأنبياء، وسورة الفرقان، وسورة الشعراء، وسورة العنكبوت، وسورة الصافات، وسورة نوح، وسورة القمر وسورة المؤمنين.

وقصة إبراهيم تكررت في سورة آل عمران، وسورة الأنبياء، وسورة مريم، وسورة إبراهيم، وسورة هود، وسورة الحجر، وسورة الذاريات، وسورة الأنعام وسورة الصافات.

وقصة لوط تكررت في سورة الصافات، وسورة الأعراف، وسورة النحل، وسورة العنكبوت، وسورة الشعراء، وسورة الأنبياء، وسورة القمر وسورة هود. وقصة موسى تكررت في سورة القصص، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة الأعراف، وسورة البقرة، وسورة يونس وسورة النساء وسورة الأنبياء. وقصة سليمان تكررت في سورة ص، وسورة البقرة، وسورة النمل وسورة الأنبياء.

وقصة يونس (يونس) تكررت في سورة الأنبياء، وسورة الصافات، وسورة القلم

(١) « هل القرآن معصوم؟ »، عنوانٌ مثير، لكتاب حول القرآن الكريم، ظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، وقد صدر بثلاث لغات: الألمانية والإنجليزية والعربية. وجاء في صفحة العنوان أن مؤلفه هو « عبد الله الفادي »، وهو اسمٌ مستعار، ويبدو أنه لم يؤلفه رجل واحد، وإنما أعده مجموعة من القساوسة والرهبان. وقد طبع في النمسا، وصدر عن مؤسسة تنصيرية، اسمها: Light of Life ومعناه: « نور الحياة » !!.

وعنوان الكتاب مقصود، والاستفهام للإثارة، فمعنى سؤالهم: « هل القرآن معصوم؟ » تقرير أن القرآن ليس منزهًا عن الخطأ، وإنما فيه عشرات الأخطاء المختلفة، وهذا معناه أنه ليس من عند الله، فلو كان من عند الله لما وجد فيه خطأ واحد!.

وقد قسم مؤلفو الكتاب كتابهم إلى عشرة أجزاء، ادَّعَوْا أنهم وجدوا في كل جزء منها مجموعة من الأخطاء في القرآن. انظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح الخالدي، ص (١١).

وسورة يونس .

وقصة عيسى تكررت في سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحديد، وسورة الصف، وسورة يس وسورة الزخرف. وقصة خلق الله آدم وأمره تعالى الملائكة بالسجود له حسب القرآن مكررة في خمس سور. وقصة نوح والطوفان مكررة في عشر سور. وحديث إبراهيم بإنذاره عبثاً قومه وتبشيريه بإسحاق مكرر في ثماني سور. وحديث لوط بإنذاره عبثاً قومه وهلاك سدوم مكرر في تسع سور. وقصة يوسف سورة برمتها. وحديث موسى بإرساله من الله لفرعون مكرر في ١٢ سورة.

ونحن نسأل: أليس في هذا التكرار عيب الخل والملل والبعد عن ضروب البلاغة؟^(١). تلك كانت أبرز دعاوى الخطأ في القصص القرآني بسبب تكراره، ويُرد عليها بما يلي^(٢):

١. لم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحدة من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، فقد تأتي القصة مفصلة: كما في قصة سيدنا موسى - عليه السلام - في سورة الأعراف، وقصة سيدنا نوح - عليه السلام - في سورة هود، ثم تأتي مجملة: كقصة سيدنا نوح - عليه السلام - في سورة الأعراف، وقصة سيدنا موسى - عليه السلام - في سورة هود.
٢. كل قصة قرآنية سواء أكانت مجملة أم مفصلة، قصيرة أم غير قصيرة، جاءت تفي بالغرض الذي سيقنت من أجله. فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص، بل ربما يذكر في القصة القصيرة ما لا يُذكر في غيرها، ومثال ذلك قصة سيدنا نوح - عليه السلام - في سورة العنكبوت - كما سيتبين قريباً -.
٣. بعض القصص القرآني لم يُذكر إلا مرة واحدة، وبعضه الآخر ذكر أكثر من مرة.

(١) انظر موقع الكلمة المسيحي الإلكتروني:

<http://alkalema.net/koran/index.html>.

(٢) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص (١٦٢-١٦٨). والقصص القرآني، د. فضل حسن عباس، ص (٢٣).

فالقصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله تعالى كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة إلى الله تعالى. أما التي ذكرت مرة واحدة: فمع سمو الحقائق التي قررتها، وما فيها من توجيهات تربوية، إلا أنها لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء - عليهم السلام - وأممهم، وما لاقاه هؤلاء من أولئك، إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية، وجوانب إنسانية، وقيم خلقية.

٤. بعض السور القرآنية ذكر فيها أكثر من قصة من اللون الذي لم يذكر إلا مرة واحدة، فإذا نظرنا لهذه القصص المرتبة بترتيب بديع يكون منهجاً متكاملًا لما يجب أن يكون عليه المسلمون.

مثلاً: انفردت سورة الكهف بقصص أربع لم تذكر في سواها، هي: قصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين. ٥. القصص التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله لا نجد منها قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة، بل نجد كل قصة جاء فيها ما لم يأت في الأخرى، ففي كل قصة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما يعكس شخصية السورة التي ذكرت فيها هذه القصة، تأمل - مثلاً - تكرار قصة سيدنا نوح - عليه السلام - بحسب التفصيل الآتي^(١):

ذكرت قصة سيدنا نوح - عليه السلام - في بضع عشرة سورة، بعضها أشار إليها القرآن الكريم أثناء الحديث عن القوم المكذبين أو الأنبياء المؤيدين، وبعضها ذكر قصته مفصلة لجزء من أحداثها.

من أمثلة القسم الأول: ما ورد في سورة النجم: (٥٠-٥٢)، و(ص): (١٢)، والذاريات: (٤٦)، والحاقة: (١١-١٢)، والأنبياء: (٧٦-٧٧).

تلك السور أشارت إلى قصته - عليه السلام - أثناء التمثيل على القوم الظالمين - عدا سورة الأنبياء ذكرتها أثناء الحديث عن تأييد الله للأنبياء -، وإنك عندما تستعرض هذه الآيات لن تجد تشابهاً بين أي آيتين منها، بل كل آية أتت بجديد غير موجود في

(١) انظر: القصص القرآني: إبحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، ص(١٢٧).

الآيات الأخرى.

أما السور التي تحدثت بشيء من التفصيل عن قصة سيدنا نوح - عليه السلام - فهي تسع سور سيتم التفصيل في شأنها بحسب الراجح من ترتيب نزولها كما يلي:

أولاً: القمر (٩-١٧): تأتي هذه الآيات في سياق عرض تكذيب أهل مكة للنبوة، أهل مكة الذين كانوا كلما رأوا معجزة للرسول ﷺ كذبوا وقالوا: «هذا سحر مستمر». وأتت السورة لتبين أن الذي منعهم من الإيمان ليس عدم قوة حجة المعجزات، بل كان المانع منه: اتباع الهوى.

افتقرى أهل مكة على محمد ﷺ بزعم إصابته بالسحر والجنون، وهو ذات ما افتراه قوم نوح - عليه السلام - على نبيهم، فكان الآيات تخاطبه بأن «لا تخف ولا تحزن؛ فأنت لست بدعاً من الرسل، وسينالك ما نالهم من الأذى، فتحمل ذلك أنت ومن سيسير على دربك من الدعاة من بعدك».

ثم ختمت القصة في السورة ببيان مصير قوم نوح (المؤمنين والكافرين)، وفي ذلك تهديدٌ لقريش.

ثانياً: الأعراف (٥٩-٦٤): جاءت الآيات في سياق استغراب المشركين من أن الله بعث بشراً نبياً، فجاءت الآيات تنعى عليهم استغرابهم في أن الله بعث فيهم رسولاً منهم، مبيّنة الحكمة من ذلك، وتبكيّاً لهم بأن الغريب هو ألا يكون كذلك.

والجديد في هذه الآيات: سردها لجزء من الحديث الذي دار بين سيدنا نوح - عليه السلام - وقومه، وتحديه لهم، وتمسكه بعقيدته، وهذا ليس موجوداً في سورة القمر.

ثالثاً: الشعراء (١٠٥-١٢٢): تتميز السورة عن باقي السور بالحديث عن الشعر، والشعر يحرك الوجدان ويلامس شغاف العواطف والشجون والمشاعر.

ومن يتتبع أسلوب مخاطبة سيدنا نوح - عليه السلام - قومه في هذه السورة يجدها قد غلب عليها الحس العاطفي، وفي ذلك زيادة فائدة على ما في السورتين السابقتين.

رابعاً: يونس (٧١-٧٣): تسلط آياتها الضوء على الأبعاد النفسية: ثقة سيدنا نوح - عليه السلام - بخالقه وحاميه تعالى، ويتمثل هذا بتحديه لهم بأنهم لن

يستطيعوا أن يقتلوه، وهذا لم يرد في السور الأخرى.

خامساً: هود (٤٨-٢٥): تختلف عن السور الأخرى بكونها أكثر السور التي فصلت الحديث في شبهات قومه، ورد نوح - عليه السلام - عليهم في حوار عقلي منطقي، وكذلك حوارهم مع ابنه.

سادساً: الصافات (٨٢-٧٥): لم تتعرض القصة في هذه السورة للحديث عن إرسال سيدنا نوح - عليه السلام - ولا عن حوارهم مع قومه، بل كل ما فيها بيان نعم الله تعالى التي أنعم بها على نوح - عليه السلام - وما أكرمه به من منن، تلك النعم التي أجمّلها بقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)، وهذا مغاير لجميع مواضع القصة في السور الأخرى.

سابعاً: نوح (كلها): والجديد فيها ذكر أساليب سيدنا نوح - عليه السلام - في الدعوة بالتفصيل، والتفصيل الدقيق لما دعاهم إليه، وبيان أسماء أصنامهم.

ثامناً: المؤمنون (٣٠-٢٣): تتحدث السورة عن كيفية مخاطبة قومه بعضهم بعضاً، وسنة الله تعالى الكونية الثابتة في استهزاء المتبوعين بالأتباع، وبيان أن طاعة الأتباع العمياء للمستكبرين ستهديهم إلى سواء الجحيم.

تاسعاً: العنكبوت (١٤-١٥): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

وهي آخر ما نزل من السور التي تحدثت عن قصته بشيء من التفصيل، وفيها تلخيص بديع لقصته.

ورغم كونها تلخيصاً للقصة إلا أنها حملت خبراً جديداً وهو مدة دعوته. تلك كانت قصة سيدنا نوح - عليه السلام - متحدياً قومه، داعياً إياهم إلى الإسلام، ولنرّ علاقة قصة نوح - عليه السلام - مع شخصية السورة القرآنية التي ذكرت فيها، سياق الآيات القرآنية التي ذكرت معها، والجديد في كل منها، فتجد بأن: **سورة القمر:** تتسم بقصر الآيات، وقوة النبرة في تقرير الكفار والمكذابين بالآيات، وإيقاع القصة السريع يتناسب مع أول آية في السورة ﴿اقْرَبَتْ السَّاعَةُ﴾؛ ولذلك تجد

استخدام الفاء الدالة على التعاقب السريع ﴿فَكَذَّبُوا .. فَدَعَا .. فَأَنْصَرَّ .. فَفَتَحْنَا .. فَأَلْقَى﴾ .
الأعراف: تتحدث عن الإيمان، وتركز على الإيمان بالرسول الذين كانوا من أكبر نعم الله على الناس . ومن نعمه أيضاً: إمهال الكافرين ليتوبوا، وحسن عاقبة المسلمين الثابتين على العقيدة الصحيحة .

يونس: تتحدث عن عناد الكفار، ومن أسباب ذلك: انزعاجهم من كون الله تعالى قد أرسل رجلاً منهم .

هود: تتحدث عن الأهوال والشدائد، وفيها بيان لمواقف الشدة والمصاعب التي كابدها سيدنا نوح - عليه السلام -، فكان مثلاً على الصبر وخاصة فاجعته بابه .
- الصافات: تتحدث عن طاعة الملائكة والرسول والمؤمنين لخالقهم، ونعم الله التي اختص بها عباده الأنبياء، وكان منهم سيدنا نوح - عليه السلام - .

نوح: كل السورة تتحدث عن قصته . والمميز فيها أنها كلها من أولها إلى آخرها محكية بلسانه .

المؤمنون: تتحدث عن صفات المؤمنين، وتعلل دوافع كثير من الناس في عدم الإيمان، وأهمها: وجود سادة القوم المتنفذين الذين يمنعون الناس عن الحق بلسانهم ومالهم وقوتهم، فالذي يحول بين هؤلاء الناس والإيمان هو خنوعهم وخضوعهم لسلطة المستكبرين .

العنكبوت: هي سورة الدعاة، تتحدث عن ركائز الدعوة ومقوماتها، مبتدئة بحث الدعاة على الصبر وتحمل البلاء، فهذا نوح - عليه السلام - لم ير إلا أعواماً قليلة من الرخاء، وفي النهاية انتصر، وكانت العقبي له .

هكذا يرى كل ذي عينين، أن ما تكرر من قصص القرآن الكريم لم يكن إلا لفائدة تتناسب مع سياق الآيات المذكورة فيه، وكانت القصة في مكانها الطبيعي في سياق الآيات دون تكلف، بل وحملت كل قصة جديداً في كل موضع ذكرت فيه، إنها سُنَّة القصص في القرآن الكريم، وإن هذا هو غاية الإبداع، ونهاية الروعة، ودليل من دلائل الإعجاز .

وبهذا التمثيل بقصة نوح - عليه السلام - على علة التكرار في القصص القرآني،

يتبين خطأ الزعم بأن القصة في القرآن الكريم تتكرر بلا فائدة، بل إن القرآن الكريم يعرض في كل موطن جانباً من تفاصيل القصة، بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراود من موطن العبرة والاستشهاد، ولا بد أن تجد جديداً في كل موضع لا تجده في غيره.

يقيناً ستجد كل قصة تكررت من قصص القرآن الكريم، متصفة بتلك الصفات وتلك الميزات أثناء تكرارها. ويمكن تعداد أبرز الحكم من تكرار القصص القرآني بما يلي:

١. زيادة العبرة والموعظة وتذكير المؤمن بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة؛ ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى، وليبقى في حالة تفاعل برحمة الله تعالى وصدق وعده بأنه سينجي عباده المؤمنين، وسيجعل العاقبة لهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢).
٢. من بديع نظم القرآن الكريم عند ذكر قصة في سور عدة: استكمال جوانب القصة، فتذكر القصة مختصرة أحياناً وأحياناً مطوّلة، وأحياناً تُذكر أحداث جديدة في كل مرة، فالقصة لا تتكرر إنما تتكامل؛ فإن « من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى »^(١).
٣. تكرار القصة في مواضع محددة من آيات القرآن الكريم، يضيف على أسلوب القرآن جمالية وروعة وبياناً لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله. ومع تكرار القصة عبر سور القرآن الكريم الذي استمر نزوله فترة ثلاثة وعشرين عاماً، لا نجد أبداً أي تناقض أو نقص أو خلاف، فنحن هنا أمام معجزة تشهد على أن القرآن كتاب الله تعالى.

٤. التكرار أمر تقبله الفطرة، ويرتضيه منهج البحث العلمي – بل يطلبه عند الحاجة –؛

(١) مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان، ص (٣١٨).

لأن في التكرار: « طرد للغفلة، وتأکید للحجة »^(١)، فـ « متى كثر تكرار أمرٍ تولد تيارٌ فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو العدوى، إذ لا يكفي لتحوّل الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولا بدّ لحصول ذلك أن يتكرّر حدوثه؛ فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به، وتركّزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة. وهذا يعني أنّ تكرار القول لا يقل تأثيراً في إثارة الانفعال وتكوين العواطف من تكرار الفعل، بل إنّ تكرار القول حافظٌ هام لحدوث الفعل »^(٢).

تكرار الألفاظ والتراكيب أسلوب تقره الفصاحة العربية، فعله كبار شعراء العرب وفحولهم، تأمل فعل المهلهل بن ربيعة حين تحدث عن حرب البسوس:

على أن ليس عدلاً من كليب	إذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا رجف العضاة من الدبور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلاً من كليب	غداة بلابل الأمر الكبير
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا برزت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا علنت نجيات الأمور
فداً لبني الشقيقة يوم جاءوا	كأسد الغاب لجّت في زئير ^(٣)

ومثله فعل الشاعر الجاهلي الحارث بن عباد حين تحدث عن جولة من جولات حرب البسوس بقصيدة من مائة بيت، كرر فيها جملة: « قرباً مربوط النعامة مني » خمسين مرة^(٤).

وقد عقد ابن فارس في كتابه الصحابي في فقه اللغة باباً كاملاً بعنوان: « باب

(١) فتح القدير، الشوكاني ١٠٣/٧ ونسبه للحسين بن الفضل.

(٢) لغة الحوار في القرآن الكريم، د. فوز نزال، ص (٢٨٧).

(٣) انظر: الأمالي، القالي (١٤٨/٢). وشرح معاني الكلمات الواردة بما يلي: « (رجف): تحرك حركة شديدة، و (العضاة): كل شجر له شوك، (البلابل): الاضطراب، و (النجيات): السرائر ».

(٤) انظر: نهاية الأرب، النويري (٢٠٢/٤) (مقتل كليب).

التكرار»^(١)، مهَّد له بقوله: « وسُنن العرب التكرير والإعادة؛ إرادة الإبلاغ، بحسب العناية بالأمر...». وذكر على ذلك شواهد من كلام فصحاء العرب. ثم ختم الباب بقوله: « قال علماؤنا: فعلى هذه السُّنة ما جاء في كتاب الله جلَّ ثناؤه من قوله: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (سورة الرحمن، الآيات: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧). فأما تكرير الأنباء والقِصص في كتاب الله جلَّ ثناؤه فقد قيلت فيه وجوه، وأصح ما يقال فيه: إن الله جلَّ ثناؤه جعل هذا القرآن وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد ﷺ، ثم بيَّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القِصة في مواضع إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبَّرَ ».

استخدامُ الكاتبِ أسلوبَ التكرار لأغراضٍ مختلفة أسلوبٌ فصيح يُقرُّ به حتى غير العرب، قال جوستاف لوبون: « إذا ما تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله حقيقة ساطعة، والسبب في ذلك: كون المكر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منّا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المكرر»^(٢).

فالتشابه في تكرار عرض بعض السور لبعض القصص القرآني « لا يعني أن أحد القولين المتشابهين يسد عن غيره، وما أشبهه بتشابه أصابع اليد، أو ببعض الأجهزة والأعصاب التي خلقها الله تعالى في جسم الإنسان، والتي لا يغني أحدها عن غيره»^(٣). وعليه فإن استخدام أسلوب التكرار ليس فيه ذم ولا قدح بالمطلق، ولا يُدْمُ فعله إلا إن كان مما يمكن الاستغناء عنه، وكان الذي نكرره خالياً من أي معنى جديد يضاف إلى الأول، فهو حينئذ يكون لغواً لا فائدة منه، وهذا ليس منه في القرآن الكريم شيء، بل

(١) انظر: ص(٢٠٧-٢٠٩).

(٢) أسلوب القرآن الكريم، د. محمد عمر باحازق، ص(٢٨٠). ناقلًا عن روح الاجتماع، د. جوستاف لوبون.

(٣) قضايا قرآنية، د. فضل حسن عباس، ص(٦٤).

كل تكرار فيه إنما كان لبلاغة.

وبهذا يتبين ضعف اتهام القصص القرآني بالخلل لدعوى وجود التكرار بلا مسوغ، بل إن المستشرقين لجأوا إلى تلك الدعوى بصفتها حيلة إسقاطية؛ فظنوا بأن التكرار المفيد للقصص القرآني كالتكرار الممل لقصص العهدين المحرفين؟! ومنه^(١):
في سفر الأمثال تكرار أكثر من مائة مَثَلٍ باللفظ أو بالمعنى، انظر مثلاً: (١٨/٨ و٢٦/٢٢ و١٩/٢٤)، كما وردَ في الملوك الأول (٢٢/٤١-٤٣) النص التالي: «وَمَلِك يهوشافاط ابن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لأَخَابَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ يهوشافاط ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك، وَمَلِكَ خَمْساً وَعَشْرِينَ سنة في أورشليم، واسم أمه عزوبة بنت شلحي. وسار في كل طريق آسا أبيه. لم يحد عنها، إذ عمل المستقيم في عيني الرب. إلا أن المرتفعات لم تنتزع».

وورد النص بنحوه في أخبار الأيام الثاني (٢٠/٣١-٣٣): «وَمَلَكَ يهوشافاط على يهوذا، كان ابن خمس وثلاثين سنة حين مَلَكَ، وَمَلَكَ خَمْساً وَعَشْرِينَ سنة في أورشليم، واسم أمه عزوبة بنت شلحي، وسار في طريق أبيه آسا ولم يحد عنها إذ عمل المستقيم في عيني الرَّبِّ. إلا أن المرتفعات لم تنتزع».

وهناك قصص أخرى مكررة في العهدين المحرفين، تجد عرضاً لبعض منها في

جدول رقم (١).

مَوْضِعُ النِّصِّ الأول	مَوْضِعُ النِّصِّ الثَّانِي	مَوْضِعُ القِصَّةِ
التكوين (٤١/٧-١)	التكوين (٤١/١٧-٤٣)	رؤيا فرعون وحواره مع يوسف حولها

(١) انظر: هل العهد القديم كلمة الله؟ د. منقذ السقار، ص (٧١).

الخروج (٣٥-٣٠)	الخروج (٣٦-٤٠)	وصف خيمة الاجتماع
الأيام الأول (١٧)	صموئيل الثاني (٧)	سبب بناء داود للهيكل
الأيام الأول (١٨)	صموئيل الثاني (٨)	حروب داود مع الفلسطينيين والمؤابيين
الأيام الأول (١٩)	صموئيل الثاني (١٠)	حروب داود مع العمونيين
الملوك الأول (٨)	الأيام الثاني (٦)	خطبة وصلاة سليمان في الهيكل
الملوك الثاني (١٩ / ١-١٢)	إشعيا (٣٧ / ١٢)	دعاء الملك حزقيا

جدول رقم (١) بعض القصص المكررة بلا مسوغ في العهدين المحرفين

ويعترف مفسرو العهدين المحرفين من أهل الكتاب بذلك التكرار، ويعدونه أمراً عادياً، يقول الأستاذ الدكتور وهيب جورجى كامل، أستاذ العهد القديم في الكلية الإكليريكية بالقاهرة: « ونلاحظ في سفر المزامير تكراراً لبعضها، وتداخلاً لبعض الآخر:

١. فمزمور (١٤) بأكمله مكرر في مزمور (٥٣).
٢. والأعداد (١٣-١٧) من مزمور (٤٠) تشكل مزمور (٧٠) بأكمله.

٣. وتتممة مزمور (٥٧) من (١١-٧) مع تتممة مزمور (٦٠) من (١٢-٥) يشكلان معاً مزمور (١٠٨).

٤. ومزمور (١٨) هو الإصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني.

٥. وصلاة داود النبي الواردة في سفر الأيام الأول (١٦ / ٨-٣٦) يجمعها المزمور (١٠٥ / ١-١٥، ٩٦ / ١٣-١) «^(١).

وحاول الدكتور ملاك محارب تبرير التكرار بأن له غرضاً واحداً هو تذكير الناس وتأكيد القصة، قال: يبدو ظاهرياً أن سفري أخبار الأيام (الأول والثاني) يكرران ما سبق أن ورد في أسفار صموئيل (الأول والثاني) والملوك (الأول والثاني)، والواقع أن كاتب سفري أخبار الأيام يكتب سفره للذين يعرفون تلك الأسفار السابقة، وقد أراد عزرا - كاتب سفري أخبار الأيام - أن يربط المجتمع اليهودي الجديد بعد السبي البابلي بماضيه، فكان يذكره بقصص آبائهم السابقين؛ ليعتبروا بأن سبب الكوارث هو في البعد عن تعاليم الرب^(٢).

والاكتفاء بتبرير تكرار القصص لداع واحد - وهو التأكيد - لا يمكن مقارنته بتكرار القصص القرآني الذي لا يخلو من فائدة، وأن كل مقطع مكرر من القصة يتناسب مع المعنى العام للسورة وأغراضها، ولا ننسى بأن التكرار في القصص القرآني تكرار محكم لا تناقض فيه، بعكس قصص العهدين المحرفين التي لا تخلو من تناقض حين تتكرر في أكثر من موضع، ومن ذلك:

١. كم كان عدد الموكلين على الإشراف على خدمة العمال المسخرين لتنفيذ أعمال سليمان؟

في سفر الملوك الأول (٩ / ٢٣): ١٥٠.

في سفر أخبار الأيام الثاني (٨ / ١٠): ٢٥٠.

٢. كم وزنة من الذهب جلبها عبید (حيرام) وعبید (سليمان) من (أوفير)؟

في سفر الملوك الأول (٩ / ٢٨): جلبوا معهم: ٤٢٠ وزنة من الذهب.

(١) انظر كتابه: مقدمات العهد القديم مناقشة واعتراضات، ص (٢٣٣).

(٢) انظر كتابه: دليل العهد القديم، ص (٨٧).

- في سفر أخبار الأيام الثاني (٨ / ١٨): جلبوا معهم: ٤٥٠ وزنة من ذهب.
٣. في إنجيل لوقا (١٩ / ٣٠ - ٣٦) العبارة التالية: «تجدان جحشاً.. فحلاه وأتيا به».
- ناقض: جاء وهو يركب حمارين معاً!! كما في إنجيل متى (٢١ / ٧-١).
٤. وفي سفر الخروج (٣٣ / ٢٠) قال الرب لموسى: «لن ترَ وجهي؛ لأن الإنسان الذي يراني لا يعيش».
- وهناك نصوص تناقض هذا وتؤكد إمكانية رؤية الرب في الدنيا فقد جاء في سفر التكوين (٣٢ / ٣٠) أن النبي يعقوب رأى الله وجهاً لوجه فهو يقول: ”لأنني نظرت الله وجهاً لوجه“.
- وجاء في سفر الخروج أيضاً (٣٣ / ١١) أن الرب كلم موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.
٥. يذكر سفر التكوين (٢٢ / ١٤) أن إبراهيم عرف (يهوه) باسمه.
- لكن ذلك يتناقض مع ما ورد في سفر الخروج (٦ / ٣) أن يهوه قال لموسى - في أول لقاء لهما قرب خيام مدين-: إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يعرفوه باسم (يهوه).
٦. تبعاً لسفري العدد والتثنية يكون هارون قد توفي مرتين في مكانين مختلفين: أحدهما على جبل حور (سفر العدد ٢٠ / ٢٨ وأيضاً ٣٣ / ٣٨) والآخر في موسى (سفر التثنية ١٠ / ٦).
٧. سفر التكوين (١ / ٣-٥) خلق النور والليل والنهار في اليوم الأول.
- ناقض سفر التكوين (١ / ٤) خلق النور في اليوم الرابع.
٨. في سفر حزقيال (٢٦ / ٧ - ١٤) نبوخذ نصر يدمر صور ولن تُبْنَ أبداً.
- ناقض سفر حزقيال (٢٩ / ١٨ - ٢٠) جيش نبوخذ نصر يُعمر صور مجاناً.
٩. إنجيل متى (٢٧ / ٣-١٠) ندم يهوذا على تسليم المسيح وخنق نفسه. ناقض أعمال الرسل (١ / ١٨-١٩) «وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها».
١٠. تناقض إنجيل متى في عدد حضور العشاء الأخير، فجاء فيه (١٩ / ٢٨) «تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا». ولكن مات يهوذا مرتداً قبل جلوسهم لتناول

العشاء، كما في متى الإصحاح (٥/٢٧) فصاروا: أحد عشر.

١١. كتب متى (٥/٨) أن المسيح أشفى خادم الضابط أولاً قبل أن يكون قد أشفى حماة بطرس من الحمى. وحسب إنجيل لوقا (٢٨/٤) إن شفاء خادم الضابط، كان بعد شفاء حماة بطرس من الحمى.

١٢. ذكر متى (٢٩/٢٧) أن الجنود ركعوا للمسيح. استهزاءً به. ثم بصقوا عليه. وخالفه مرقس (١٥/١٩) فجعل البصق أولاً، ثم الركوع.

١٣. مَنْ الذي حَمَلَ الصليب؟ هل هو سمعان القيرواني بحسب لوقا (٢٦/٢٣)، أم يسوع بحسب يوحنا (١٩/١٦) ^(١).

١٤. جاء في سفر أعمال الرسل (٩/٧) أن المسافرين مع بولس حينما ظهر له المسيح وهو في الطريق إلى دمشق: «وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً». إلا أننا نجد في موضع آخر، أن الذين كانوا مع بولس نظروا النور ولم يسمعوا الصوت! سفر أعمال الرسل (٩/٢٢): «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني».

وغير ذلك الكثير مما اعترف به علماء اللاهوت وشرح الكتاب المقدس من خلافات لا تناقضات لا يمكن توجيهاها، لذا عدوها من أخطاء النسخ والترجمة ^(٢).

إن التناقض يمنع صحة الدعوى... وعند إمكانية التوفيق، ينتفي التناقض. وعدمها يُثَبِّتُه ^(٣).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ يُقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢). ومعنى الاختلاف الكثير: «أي تفاوتاً وتناقضاً كثيراً.. أفلا

(١) حاول القس منسي يوحنا التوفيق بين النصين المتعارضين في كتابه: حل مشاكل الكتاب المقدس، ص(١٣٨)، فقال: «إن المسيح إذ لم يقوَ على حمل الصليب، سَخَّرَ سمعان ليساعده على حمله». وفي رده ملاحظتان: كيف لا يقوى يسوع الذي يعبدونه على حمل الصليب؟ وكيف يعبدون إلهاً بحاجة إلى مساعدة بشر؟ كما أن النص المذكور عند (لوقا) يبين أن الجنود هم الذين طلبوا من سمعان حمل الصليب وليس يسوع هو الذي طلب منه ذلك!

(٢) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/٣٠-٤٢). وكتابي د. منقذ السقار، هل العهد القديم كلمة الله؟، ص(٨٤-٩٤)، وهل العهد الجديد كلمة الله؟ ص(١٠٨-١٢٦).

(٣) الكليات، الكفوي، ص(٣٠٦).

يتفكرون فيه فيعرفوا - بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر - أنه كلام الله تعالى؛ لأن ما لا يكون من عند الله، لا يخلو عن تناقض واختلاف»^(١).

وتحقّق التناقض في مذهب أو ملة ما، دليل بطلانه^(٢)؛ لذا فإنّ خلو القرآن الكريم من التناقض لهو من أدلة إعجازه « أفلا يتدبر المبيّنون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك؟ وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم؛ لا تساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق. فإن ذلك لو كان من عند غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»^(٣).

والخلو من التناقض صفة الكلام الإلهي المنزه عن الخطأ، بينما كلام البشر لا ينفك عن وقوع التناقض فيه، فمهما كان الإنسان متمكناً من علمه « يُبْعَدُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ بِعِلْمِهِ، وَيَحْتَاجُ فِيمَا يَأْتِيهِ مِنْ تَأْلِيفِ كِتَابٍ وَغَيْرِهِ إِلَى اسْتِحْضَارِ الْعُلُومِ، أَنْ يَنْتَقِيَ مِنْ كَلَامِهِ الطَّوِيلَ، وَتَأْلِيفِهِ الْكَثِيرَ: الْمُنَاقِضَةَ، حَتَّى يَسْتَمِرَّ فِي طَرِيقِ الصَّحَةِ... وَزَوَالِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ عَنِ الْقُرْآنِ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ لَمْ تَجْرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الْعِبَادِ»^(٤).

وبهذا يتبين الفرق بين تكرار القصة في القرآن الكريم وتكرارها في العهدين المحرفين، وهي أن القصص القرآني لا يتكرر إلا لحكمة بيانية دلالية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسياق الآيات الواردة فيها وتتعلق تعلقاً كبيراً بالموضوع العام للسورة التي وردت فيها، ولا تخلو تفاصيل القصة المذكورة في كل موضع من معنى جديد لا تغني عنه تفاصيل القصة في المواضع الأخرى، بينما قصص العهدين المحرفين مكررة تكراراً مملاً بلا فائدة، وسبحان من كلامه القرآن!

(١) معالم التنزيل، البغوي (١/٦٩).

(٢) انظر بيان ذلك بالأدلة العقلية في كتاب: الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: د. فوقية حسين، ص (١٧٢).

(٣) جامع البيان، الطبري (٨/١٧٩).

(٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار (١٦/٣٢٩). وأتبعه برّد بعض شبّهات ابن الراوندي الملحد.

الخاتمة

- بعد هذه الجولة المقارنة بين مسوغات القصة في القرآن الكريم في مقابل تكرارها في قصص العهدين المحرفين، فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:
١. لجأ بعض المستشرقين إلى وسائل دفاعية للتغطية على ضعف حججهم عند نقد قصص القرآن الكريم، ومن أبرزها: الإسقاط.
 ٢. لا يوجد في القصص القرآني تكرار لا مسوّغ له، ولم تخل أي قصة مكررة من زيادة فائدة لها علاقة مع سياق الآيات الكريمة التي وردت فيها، والمعنى العام للسورة التي ذكرتها.
 ٣. تكرار القصص القرآني يفيد معانٍ جديدة، فكان نوراً على نور.
 ٤. انفرد القرآن الكريم في أسلوبه، فحتى حين كرر بعض القصص كان فريداً في ذلك التكرار، معجزاً.
 ٥. احتوى العهدان المحرفان - القديم والجديد - على قصص مكررة تكراراً لا مسوغ علمي بياني له، بعكس القصص القرآني.
 ٦. كثرة الشبهات المثارة حول القرآن الكريم لا تضعف من مكانته وجليل قدره، بل تزيده رسوخاً، ولجمالياته جلاءً.
- هذا ويوصي الباحث بمزيد من الدراسات التي تبرز جماليات القصص القرآني، وتنتصر للقرآن الكريم وتدفع الشبهات عنه.
- والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الاتجاهات التعصبية. عبدالله، معتز سيد، عدد ١٣٧، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، أيار ١٩٨٩ م.
٢. أساسيات الإرشاد النفسي والتربوي. أبو زعيزع، عبدالله، ط ١، عمان: دار يافا للنشر، ٢٠٠٩ م.
٣. أسرار عن القرآن. سال، جرجس، ترجمة: هاشم العربي، (د.ط)، النمسا: دار نور الحياة، (د.ت).
٤. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. أبو خليل، شوقي، ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥ م.
٥. أسلوب القرآن الكريم. باحاذق، د. محمد عمر، ط ١، دمشق، دار المأمون، ١٩٩٤ م.
٦. إظهار الحق. الهندي، رحمة الله، تحقيق: محمد ملكاوي، ط ١، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإرشاد، ١٤١٠ هـ.
٧. الأمالي. القاضي، أبو علي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨ م.
٨. تاريخ الأدب العربي. بلاشير، ريجيس، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، ط ١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨ م.
٩. تاريخ القرآن. نولدكه، ثيودور، ترجمة: جورج ثامر، ط ١، كولونيا/ألمانيا: دار الجمل، ٢٠٠٨ م.
١٠. التصوير الفني في القرآن. قطب، سيد، ط ١٦، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢ م.
١١. تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار. رضا، محمد رشيد، ط ١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٢. تيسير الكريم الرحمن. السعدي، عبدالرحمن، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ط ١، بيروت: دار الرسالة، ٢٠٠٠ م.
١٣. جامع البيان. الطبري، محمد بن جرير، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥ م.
١٤. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، ط ٢،

- القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
١٥. حل مشاكل الكتاب المقدس. يوحنا، منسي، (د.ط)، شبرا، مصر: مكتبة المحبة، (د.ت).
١٦. دراسات قرآنية. قطب، محمد، ط٨، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م.
١٧. دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب. حومد، أسعد محمود، ط١، دمشق: (د،ن)، ١٩٩٨م.
١٨. دليل العهد القديم. محارب، ملاك، (د.ط)، القاهرة: مطبعة مكتب النسر، ١٩٩٧م.
١٩. سيكولوجيا الشخصية. غنيم، سيد، (د.ط)، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.
٢٠. شرح السنة. البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.
٢١. شرح ديوان المتنبي. الواحدي، محمد بن علي، تحقيق: ياسين الأيوبي، ط١، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٩٩م.
٢٢. الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين. المطيري، عبد المحسن بن زين، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٦م.
٢٣. فتح القدير. الشوكاني، محمد بن علي، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٤م.
٢٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير. المناوي، محمد عبدالرؤوف، ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٢م.
٢٥. القرآن ونقض مطاعن الرهبان. الخالدي، صلاح، ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٧م.
٢٦. القصص القرآني إحياءه ونفحاته. عباس، فضل حسن، ط٢، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٢م.
٢٧. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية. عباس، فضل حسن، ط١، عمان: دار الفتاح، ٢٠٠٠م.
٢٨. الكليات. الكفوي، أيوب بن موسى، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.

٢٩. لغة الحوار في القرآن الكريم. نزال، فوز، ط ١، الجوهرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م.
٣٠. مباحث في علوم القرآن، القطان. مناع، ط ٧، القاهرة: دار وهبة، ١٩٩٠ م.
٣١. مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي. الطراونة، عبدالله، ط ١، عمان: دار يافا للنشر، ٢٠٠٨ م.
٣٢. المختصر في الشخصية والبناء النفسي. سفيان، نبيل، ط ١، القاهرة: إيتراك للنشر، ٢٠٠٤ م.
٣٣. معالم التنزيل. البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: خالد العك، ط ١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٢ م.
٣٤. معالم السنن. الخطابي، حمد بن محمد، عناية: عبدالسلام محمد، ط ٢، بيروت: دار الكتب العملية، ١٤١٦ هـ.
٣٥. المغني في أبواب التوحيد والعدل. الهمذاني، القاضي عبدالجبار، ط ١، القاهرة: الشركة العربية، ١٣٨٠ هـ.
٣٦. مقدمات العهد القديم مناقشة واعتراضات. كامل، وهيب جورج، (د.ط)، القاهرة: رابطة خريجي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، (د.ت).
٣٧. منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين دراسة تحليلية منهجية، مظاهري، محمد عامر، ندوة القرآن في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ٦ شوال ١٤٢٧ هـ.
٣٨. موسوعة الخدمة الاجتماعية. الصقور، صالح، ط ١، عمان: دار زهران، ٢٠٠٩ م.
٣٩. نظريات الإرشاد والعلاج النفسي. أبو زعيزع، عبدالله، ط ١، عمان: مركز ديينو لتعليم التفكير، ٢٠١١ م.
٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي، إبراهيم بن عمر، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.
٤١. نظريات الشخصية. عبدالحميد، جابر، (د.ط)، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٠ م.
٤٢. نهاية الأرب. النويري، أحمد بن عبدالوهاب، ط ١، القاهرة: دار الكتب والوثائق

القومية، ٤٢٣ هـ.

٤٣. هل العهد القديم كلمة الله؟. السقار، منقذ، ط ١، القاهرة: دار الإسلام للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م.

المراجع الأجنبية:

1. EncycloPédie de L'Islam. J.D.Pearson, Al-Kur'an, Tome V, Paris: 1978.
2. En relisant le Coran. Berques, Jacque, Paris: Editions Albin Michel, 1995.
3. Le problème de Mahomet. BLACHERÉ, Régis, Paris: PUF, 1952.